تصعيدات غزة المتكررة تنهك قدرة المرأة على كسب لقمة عيشها

امرأة تقف أمام نافذتها بعد غارة جوية، غزة، مايو 2023. الصورة: بإذن من سمر أبو العوف.

22 مايو 2023

"كنت أعمل سكرتيرة في بنك فلسطين، لكنني فقدت وظيفتي في عام 2019. وبعد أن تمتعت بمستوى معيشي جيد لسبع سنوات، وجدت نفسي في ضائقة مالية صعبة للغاية". تقول سعاد* 41 عاماً، أم لخمسة أطفال هجرها زوجها. "دفعني ذلك إلى استغلال مهاراتي الجيدة في الطهي لبدء مشروع خاص بي. واليوم، الطبخ هو مصدر دخل عائلتي الرئيسي."

تُعد سعاد واحدة من النساء المحظوظات نسبياً في غزة واللاتي لديهن مصدر رزق. فوفقاً لمكتب تنسيق الشؤون الإنسانية، فإنه في ظل الحصار الإسرائيلي المستمر منذ 15 عاماً على القطاع، أصبحت سبل العيش وفرص العمل شحيحة بشكل متزايد. وتعتمد حوالي نصف الأسر في غزة على المساعدة التي تقدمها المنظمات غير الحكومية أو المؤسسات الخيرية كأحد مصادر دخلها الرئيسية بينما يعتمد 36.7 في المائة منها على العمل اليومي، و28 في المائة منها فقط على الوظائف كمصدر رئيسي لدخلها. أما بالنسبة لما يقرب من 60 في المائة من الأسر التي ترأسها نساء في غزة، فإن المساعدة الخيرية هي شريان الحياة لديها.

تتأثر سبل عيش النساء بشكل خاص بآثار الحصار والتصعيدات العنيفة المتكررة، حيث غالباً ما تدير النساء أعمالهن من منازلهن أو المرافق المجاورة. ما يعني أن تدمير منزل المرأة يمكن أيضاً أن يؤدي إلى فقدانها لمكان عملها، وبالتالي فقدانها لمصدر دخلها. وقد وجدت دراسة أجرتها هيئة الأمم المتحدة للمرأة حول تصعيد عام 2021 بأن 18 في المائة من الأعمال المنزلية التي تديرها النساء قد دمرت خلال أعمال العنف، مما جعل السعي لتحقيق الاستقلال

الاقتصادي أبعد منالاً للعديد من النساء، ولا سيما الشابات منهن. ولحسن حظ سعاد، لم يتأثر منزلها هذه المرة، لكن رزقها توقف خلال التصعيد.

"تحتاج معظم النساء في غزة حالياً إلى إعالة أسرهن من خلال الأعمال اليومية، لذلك عندما يندلع العنف، يتعطل دخلهن اليومي وبالتالي يزداد قلقهن وخوفهن من عدم قدرتهن على إطعام أطفالهن. على سبيل المثال، عندما اندلع تصعيد مايو، توقفت طلبات الطعام. حتى عندما كان يطلب الزبائن الطعام، لم يكن بوسعي قبول الطلبات لأن خدمات التوصيل توقفت. وبالتالي وضعني هذا التصعيد في وضع مالي صعب للغاية إذ لم أستطع شراء مواد غذائية لضمان استمرارية عملي". تقول سعاد.

وفقاً للمحة العامة عن الاحتياجات الإنسانية لعام 2023، أدت أعمال العنف المتكررة إلى تفاقم الظروف الاقتصادية. فمنذ عام 2007، عندما فرضت إسرائيل حصارها، استمرت جميع المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والأوضاع الإنسانية في غزة في التدهور. واليوم يعيش أكثر من نصف سكان غزة الآن تحت خط الفقر، ويعيش ثلثهم تحت خط الفقر المدقع. ويتفاقم هذا بسبب ارتفاع معدل البطالة. فما يقرب من نصف سكان غزة عاطلون عن العمل، مع تأثر النساء بشكل غير متناسب. ففي الربع الأخير من عام 2022، كانت 65 في المائة من النساء عاطلات عن العمل مقارنة بـ 39 في المائة للرجال. أفاد مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية أن ما يقرب من 65٪ من الأسر في غزة أرجعت ذلك للمنافسة المتزايدة على الوظائف الشحيحة باعتبارها عقبة أمام العثور على عمل.

"نظراً لانتشار أعمال بيع الأطعمة المحضرة عبر الإنترنت، أتلقى طلبات أقل لأن الناس يريدون تجربة أطعمة مختلفة. دخلي اليومي غير كاف. لكنه لا يزال الطريقة الوحيدة لإعالة عائلتي". تقول سعاد.

لم يكن تصعيد مايو 2023 هو الضربة الأولى لمصدر رزق سعاد، فخلال جائحة كوفيد-19، توقف عملها أيضاً. وكان هذا هو الحال أيضاً بالنسبة للعديد من الأعمال التي تقودها النساء في غزة حيث أدى هذا الوباء إلى تفاقم أوجه الضعف الاقتصادي للمرأة. إذ عانت النساء أكثر من الرجال في جميع جوانب مشاركتهن في سوق العمل تقريباً، بما في ذلك زيادة فقدان الوظائف وانكماش الأعمال التجارية.

أردفت سعاد قائلةً "نظراً للإجراءات الاحترازية الخاصة بكوفيد-19، تجنب معظم الناس طلب الطعام عن طريق الانترنت. عندها انقطع دخلي تماماً، باستثناء عدد قليل من الطلبات التي تلقيتها من الأقارب الذين وثقوا في أساليبي في التعقيم. ما اضطرني لبيع قطع المجوهرات القليلة التي كانت لدي لشراء طعام لأولادي."

على الرغم من هذه الصدمات المتتالية، سعاد مصممة على الحفاظ على مصدر رزقها، وتوسيع أعمالها في مجال الطهي، وحتى تقديم يد العون للنساء المحتاجات.

"أنا الآن منتسبة إلى جمعية الطهي الفلسطينية وأدرس فنون الطهي في كلية غزة. وأتطلع إلى تقديم دورات في الطبخ يوما ما". تقول سعاد. "هدفي هو فتح مطعم خاص بي وتوظيف نساء معنفات ممن هن في حاجة إلى فرص عمل للوقوف على أقدامهن وتعليم أطفالهن."

*تم تغيير الاسم للحفاظ على الخصوصية.